داء ودواء

مـــا زلـــتُ أدفِـــنُ أعضـــائي بأعضـــائي
ومـــا هَرِمـــتُ، ولا عـــانيتُ مـــن داءِ
ولـــم أزلْ مثلمـــا شـــاءَ العُـــلا أبـــداً
يُرضـي الصّديـقَ، ويُـردي الخصـمَ إمضـائي
مجـــرَّبٌ في مجـــالاتِ الحيـــاةِ أخـــو
علـــمٍ بمـــا رَسَـــمَتْ لـــي كـــلُّ أعدائـــي
أعـــالجُ الضُـــرَّ بـــالصَّبرِ الجميـــلِ، ومَـــنْ
يَصـــبرْ تَخِـــفَّ عليـــه كـــلُّ ضـــرّاءِ
وأزرعُ الحـــبَّ في الدّنيـــا ليَحصُـــدَه
أخـــو الشّـــقاءِ فـــأمحو كـــلَّ بأســـاءِ
لـــم أعـــرِفِ اليـــأسَ يومـــاً لا، ولا وَهَنَـــتْ
كفّـــي، ولا قـــلَّ في الخـــيراتِ إعطـــائي
وللعزيمـــةِ منّـــي مـــا تُسَـــرُّ بِـــهِ
وللحقيقـــةِ إرســـائي وإعلائـــي
لكـــنْ شـــقيتُ، وخـــانتْني مُجَـــالدتي
لمَّـــا تولَّـــتْ عِنـــاني كـــفُّ أهوائـــي
تَملَّـــكَ الخـــوْفُ منّـــي كـــلَّ جارحـــةٍ
فمـــا أُحِـــسُّ بضـــرَّاءٍ، ونَعْمـــاءِ

ولَـذَّ لـي الـذُّلُّ حتَّـى كِـدتُ أعبُـدُه
فَشَـتْمُ أهلـي بسـمعي مثـلُ إطرائـي
أذلَّنـي العيـشُ، أعْمتْنـي لذائـذُه
وبـدَّلَ الـذلُّ إسـراعي بإبطـائي
مـا كـان كـلُّ الَّـذي قـد كـان مـن عجَـزي
لـو لـم أبـعْ لعـدوِّي بعـضَ أجزائـي
شـقيتُ بـالذّلِ، أشـقَيْتُ الأنـامَ معـي
وشِـقْوةُ الحـرِّ إعـزازُ الأرِقّـاءِ
قد سامني الصَّمتَ يوماً مَنْ بغَى وطغَى
وزاد حـينَ تمـادى عنـه إغضـائي
حتَّـى غـدوتُ لإذلالـي لديـه كمـا
يهـوى.. علـى بابـه صُبحـي وإمسـائي
فقَـدْتُ كـلَّ الَّـذي قـد كنتُـه زمنـاً
وكـاد يُبكـي عـدوّي حجـمُ بلْوائـي
أعيـا ذويَّ، وأعيـا كـلَّ مُجْتهِـدٍ
أمـري، وزاد ببـذلِ الجُهـدِ إعيـائي
كـلُّ الّـذي ظـنَّ قومـي فيـه منفعتـي
جَرَّبتُـه.. فبَـدتْ لـي منـه أدوائـي
إنِّـي أنـا الـدَّاءُ لا أرضـى بغـيرِ أنـا
فـلا تلمْنـي، ولا تعجـبْ لإبدائـي
لمَّـا رضيـتُ بـإذلالي لأهوائـي
تبدَّلـتْ بظـلامِ كـلُّ أضوائـي

ركنْتُ لليلِ، لم أوقِدْ بظلمته
من نورِ نفسيَ ما يُودي بظلمائي
قتلْتُ نفسي وفي كفّي الشِّفاءُ لها
ورُحْتُ أدفِنُ أعضائي بأعضائي
فدعْكَ من كلِّ تأويلٍ ومرحمةٍ
ودَعْكَ مِنْ ألفِ عنّي ومن ياءِ
لو كان ما بين سمعي لي وبين فمي
لكنتُ أنسَيْتكم ما أبدعَ «الطائي»
ولو بكفّي غدتْ يوماً أصابعُها
لكنتُ للمجد وحدي خيرَ بنّاءِ
ولو ضَمِنْتُ لصوتي في الأنامِ صدىً
لَحرّكتْ كلَّ من في الأرض أصدائي
أو كان أبعدَ من صمتي مدى أدبي
لَما تركتُ امرءاً يشكو من الدّاءِ
لكنّها تتهاوى كلُّ أجزائي
ويُبدعُ القهرُ ترميمي وإحيائي
لا الدّاءُ يدنو، ولا أدنو من الدّاءِ
وما سقمتُ، وتُعيي الدّهرَ أدوائي
وما الدّواءُ الّذي يُجلى بهِ سَقَمي
إلاّ الّذي كان عن نُعْماهُ إقصائي
دائي الهوى ودوائي بالهدى فمتى
لَزِمْتُ هَدْيَ إلهي تمّ إبرائي